حول المذهب الرمزى

للأستاذ محمد فهمى

تناول الأستاذ عبد العزيز عزت المذهب الرمزى فى مقاله الأخير بالعدد « ٢٥٥ » من الرسالة « الغراء » فجاء بآراء تجعل القارئ يقف متسائلاً ... ماذا يقصد الأستاذ عزت بهذا ؟ ! هل يقصد الرمزية فى الفلسفة أم يقصد الرمزية في الأدب والشعر ؟ فان كان يقصد الأولى فانه لم يحدد غرضه ، لأن ماساقه من آراء العلامة مارتينو فى كتابه « المذهب الرمزى والبرناس » « إننا نجد عند ڤرلين وعند ملارميه وعند رامبو وكثير من الرمزيين أن الشيء الواقع وقبوله حاضراً كان أم ماضياً لا قيمة له مطلقاً » وليس فى هذا اشارة إلى رمزية فى الفلسفة . اذن فالأستاذ يقصد رمزية الأدب والشعر وهو ما يفهم من ثنايا مقاله ومن الأمثلة التى ساقها وأسماء زعماء الرمزية الذين ذكرهم . ومن العجيب أن يخلط الأستاذ فى الاستشهاد والرد والتجريح هذا الخلط الذى يبعده عن خاصيّة تحديد الموضوع تلك الخاصية التى يتوخاها كل دارس للفلسفة مثل الأستاذ الفاضل .

فالمعروف أن الفلسفة شيء والشعر والأدب شيءٌ آخر . وأن المذاهب الفلسفية غير المذاهب الأدبية وان كان التفاعل متصلاً بين هذه وتلك ، ولكن عن طريق الاحتكاك والتأثير لا عن طريق الاندماج ؛ فلكل ميدانه ومنطقته . فالفلسفة مظهر نشاط التفكير العقلى ؛ وأما الآداب والشعر فظاهر لانفعالات الحسّ وهواجس الروح

فما شأن آراء أوجست كونت « فى كتبه المتعددة عن الفلسفة الوضعية والتفكير الوضعى برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما شأن رأى أبى الاجتماع الحديث « دوركيم » فى العلم برمزية الأدب والشعر ؟ ! وما كانت الرمزية التى تناولها الأستاذ مذهباً من مذاهب العلوم ! بل ما شأن مذاهب فلاسفة السوفسطائيين والثورات الثلاث التى أثارها على التعاقب سقراط وأفلاطون وأرسطو ؟ ما شأن كل هذا بالمذهب الرمزى الذى يتحدث عنه الأستاذ فى مقاله ؟ حقاً لقد هدّمت هذه الثورات الثلاث الكثير من آراء السوفسطائيين حتى سدّ عن مذهبهم ، ولكن هل غيرت أو هدّمت فن سوفوكليس واريستوفان ويوريبيد ؟ كلاّ ، لأنها كانت ثورات فى الفلسفة ولم تكن ثورات فى الفنون والآداب ! وقد عاصر هؤلاء الأعلام فى الأدب الاغريقى كلا المذهبين السوفسطائى والسقراطى فما تهدم فنهم بهذا ولا بذاك !

وأظننا لسنا بحاجة إلى القول أن العلم شيء والآدب شيء آخر . فالعلم لا وطن له، وإن النظرية العلمية يبتكرها عالم فى أى بلد من بلاد العالم ، وعند ما تثبت بالتجربة والبرهان تصير ميراثاً مشتركاً لكل عالم على وجه الأرض من أى مملكة هو ولأي جنسية ينتمى وبأىّ دين يدين . وما هكذا الشأن فى الأدب . فلكل أمة أدبها ونوازعها ومظاهر بيئتها وتراث تاريخها ودياناتها وتقاليدها . فكيف يسوق الأستاذ تلك الآراء والأدلة الطويلة العريضة لرجال الفلسفة والعلم فى موضوع هو من أخص خصائص الآداب والشعر !!؟

أما استشهاد الأستاذ برأي العلامة « مارتينو » « ... فان المذهب الرمزى عند ما ابتدأ ظهوره وأخذت أبواقه ترتب الدعاية والنشر له قامت قائمة الناس فى فرنسا وسموه « النزعة الجنونية » لما يتضمنه من القضاء على الروح الاجتماعية والتضامن بين أهل البلد الواحد ، ولهذا أجمعت الناس فى فرنسا على جموحه وشره الفتاك وقاوموه بكل ما عندهم من قوة ، وأمكنهم — كما يذكر العلامة المدبر — أن يقضوا عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ، ودفنوه (غير مأسوف عليه) »

هكذا يقول العلامة مارتينو الذى يستشهد به الأستاذ عزت . وما أظن العلامة المدبر إلا ناقداً مجرحاً قاسياً ، أو مفكراً قريب الشبه بطائفة المحافظين عندنا الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها « دنياهم وحدهم طبعاً » كلما نشأ اتجاه جديد سواء فى الأدب أو الشعر أو الاجتماع . وإلا كيف ساغ للعلامة الكبير أن يتساوق مع رأى الناس في تسمية الرمزية « النزعة الجنونية » إذ على هذا القياس يكون من ذكرهم فى كتابه « المذهب البرناسى والرمزى » من الأعلام أمثال ڤرلين وملارميه ورامبو وكثير من الرمزيين إلا مجانين ! ولا أظن العلامة الكبير يوافق على هذا ولا الناس فى فرنسا ولا القراء ولا الأستاذ عزت !

ثم ما ذا يقصد من أن المذهب الرمزى قضى عليه فى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً من ولادته ؟ هل معنى هذا أن آثار الرمزيين قضي عليها تماماً « غير مأسوف عليها » وإنها الآن فى

حيز الكتابات الهيروغليفية قبل اكتشاف شمبليون لحجر رشيد؟ أم أن الرمزية قد قضى عليها كمذهب قائم بذاته له أنصاره ومدرسته ! إن كان الأخير فهذا أمر طبيعي وهو مآل كل مذهب قائم الآن . فالآداب والشعر تتغير بتغير المجتمع والبيئة في الأمة في عصورها المتعاقبة . وإنك لتشاهد الآن في انجلترا أن مذهب الرمانتيكية وكان من أعلامه شكسبير وملتون، وفي فرنسا هوجو ولامارتين، قد أخلى الطريق لغيره من المذاهب التي خلفته شأن مذهب الرمزية وكل مذهب أتى أو قائم أو سيأتي ...

ولكن لا ينكر أحد فضل الرومانتيكية في الأدبين الانجليزي والفرنسي وأنها كانت من العوامل المؤثرة في نشوء المذاهب التي أعقبتها . وهكذا فعلت الرمزية إذ أثرت فيما خلفها من المذاهب

بل إن مذهب السوفسطائيين في الفلسفة الذي ذكره الأستاذ في مقاله كان له أكبر الفضل في نشوء الفلسفة السقراطية وتلك الآراء والتعاليم القيمة التي ابتدعها سقراط وحمل لواءها أفلاطون من بعده؛ ثم كانت أساساً لتلميذه الفذ أرسطو . ولا يخفى أن من السوفسطائيين من كانوا يلمسون الحقيقة في بعض المواقف حيث يخطئها سقراط نفسه. « أنظر محاورة بروتاجوارس » بين سقراط وشيخ السوفسطائيين الذي سميت المحاورة باسمه

ولعلي في هذه الكلمة قد جلوت بعض نواحي الأشكال والغموض اللذين أثارهما مقال الأستاذ عزت الأخير؛ ولعله في مقالاته الآتية يتفضل بمراعاة التحديد وعدم الخلط بين المذاهب الفلسفية وآراء الفلاسفة وبين المذاهب في الآداب والشعر

« القاهرة » محمد فرهمي

تحت الطبع :

حياة الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

أسبوع في فلسطين

للأستاذ محمد سعيد العريان

تتمة ما نشر في العدد الماضي

لن أتحدث عن مشاهدات في هذه البلاد رأيتها بعيني ، فذلك شيء يستطيعه كل ذي عينين ؛ وفلسطين اليوم هي فلسطين التي رآها من قبلي عشرات من الكتاب والرحالين وتحدثوا عن مشاهدها وآثارها ومعالمها ؛ فهذا المسجد الأقصى ، وهذه قبة الصخرة ، وذاك مهد المسيح في بيت لحم ، وذلك — فيما يزعمون — مصعده ومسراه على الطور ، وهذا حائط البرق ، وذاك مصلى عمر ، وتلك كنيسة القيامة ... مشاهد كما وصف الواصفون وتحدث الرحالون وتغنى الشعراء ؛ فليس بي من حاجة إلى الاعادة والتكرار . ولكني سأتحدث عن المشاهدات الأخرى... مشاهدات رأيتها بفكري وسمعت صداها في نفسي، وتحدث معناها إلى قلبي ...

لقد أحسست أول ما هبطت هذه البلاد كأنما نضوت عن جسدي ثوباً كان يحتويني فأنا فيه غير من أنا : حسًّا ومعنًى وفكرة ؛ فما ألقيته عن جسدي حتى تواثبت نفسي منطلقةً على سجيتها في عالم غير محدود ، لا تعرفه ولا تنكره ، ولكنها فيه هي شيء غير ما كانت في هذا الثوب الذي يضم أطرافي منذ ثلاثين سنة أو يزيد ...

أمصري أنا ؟ لا ؛ إن وطني لأكبر من ذاك . إن لي أهلاً هنا وأهلاً هناك . إن تراث الأجيال ليتحرك في دمي الساعة فيذكرني مالم أكن أعرف. ما هذا ...؟ لكأن لي في كل مكان ذكرى قريبة وما رأته عيناي قبل أن تراه عيناي . إن قوة من وراء التاريخ تربطني إلى هذا المكان ، وتستوقفني عند ذاك الأثر، وتقف بي عند ذلك المتعطف ، وتذكرني بشيء في هذا الحي . إن هنا قبساً من روح أعرفها ترفّ حولي ، ونفحةً من عطر أتشمّمها تلامس روحي ، وإن لي هنا لخفقة قلب ، وإن لي هناك لدمعة عين ، وإنني لألتقي خواطر وذكريات لم تكن من خواطري وذكرياتي ؛ وإنني لأحس ... وإنني لأشعر ... فما أشك أن لي